الثمـــــــــرة

بدأت الشمس تنزل من قمة السماء نحو الغرب ببطء وتثاقل ؛ بينما أخذت كتائب الليل تلاحقها من الشرق ، وتأمرها بالانصراف ، حتى هدأت حدتها وحرارتها ، وهى تقرب نحو الأفق ، مودعة أمواج الخليج ، التى تتكسر على الشاطىء الرملى ، فتنبعث منها ألحان موسيقية ، تطرب السامع ، وتثير شجون الشاعر .

كل هذا ، وأنا مستلق على الرمال الناعمة ، فى إحدى القرى المتناثرة على الخليج ، فى يوم ربيعى الطقس ، خلاب المناظر ، وبيدى آنذاك كتاب أقرأ فيه حيناً . وألقيه جانباً أحياناً . لقد سئمت القراءة ، وسئمت أيضاً الوحدة ، فأخذت ألتفت يمنة ويسرة ، علنى أجد بعض الأصدقاء ، فأتسلى معه بقية هذا النهار ، فإذا أنا بشخص مقبل ، وهو يهرول بمحاذاة الشاطىء . وأراه على البعد يكبو فينط رافعاً رجليه فى الهواء ، حتى إذا ما أعادهما ولامس بهما سطح الماء ، تطاير رذاذ الماء فوق رأسه وملابسه .

وهكذا انغمر بالماء وابتلت ملابسه ، من كثرة الضرب على وجه الماء . فوقفت أرقبه ، حتى اقترب منى وهو يتمتم بكلمات لم أفهم منها شيئاً ، فلم أشك بأنه مجنون من القرية ، فدنا منى ، وأبدى التحية ثم جلس . فرددتها عليه بأحسن منها ؛ لا تأدباً ومجاملة ؛ بل خوفاً منه ومن جنونه .

مرت علينا فترة من الوقت فى صمت طويل ، ثم انقطع صمتنا حينما وقعت عيناه على الكتاب ، وقال :

« هل يمكنك يا سيدى ، أن تقرأ لى شيئاً من هذا الكتاب ؟ » . فقلت له : « إنه كتاب أدبى لا تستفيد منه شيئاً » . فزفر صاحبى زفرة طويلة ، ثم قال : « إننى لست بمجنون كما يتهمنى الناس ، بل أنا أعقل مما تظن ، ولكن . . آه ! ولكن ظروفاً قاسية جعلتنى أبدو بهذا المظهر . . . سامحك الله يا أبى . . كم جنيت علىّ » .

فأخذت أهدىء من شدة كلامه وأواسيه . ثم طلبت منه أن يحكى لى قصته ، فاستجاب لطلبى ، وابتدأ يقول : كنت وحيد أبى ، ولم يرزقه الله من والدتى سواى ، فشبت بين حنان الأمومة وعطف الأبوة ، حتى بلغت السادسة من العمر ، فأدخلنى أبى إحدى المدارس الأهلية ، ولم يقصد بذلك المنفعة والعلم ، لأنه لا يعرف معنى ولا تقديراً للعلم ، بل كل ما يقصده تضييع الوقت أمام « الملأ » بدلا من التسكع فى الشوارع ، والعبث والشيطنة .

قضيت فى المدرسة ثلاث سنوات كانت هى أسعد أيامى ، ولكن يد القدر القاسية لم تمهل علىّ سعادتى ، بل اختطفت منا أمى العزيزة رحمها الله ، فطويت فى اللحد ، كما طويت معها سعادتى منذ ذلك اليوم .

ولم يمض على وفاتها شهران ، حتى حلت فى البيت امرأة هى زوجة أبى الجديدة .

كان أبى يشتغل بحاراً فى إحدى السفن الشراعية ، التى تجوب بحار الشرق الأوسط ، ولم يمض على زواجه شهر واحد حتى وصل إليه الأمر من ربان السفينة بوجوب الاستعداد للسفر المفاجىء فبقيت أنا وزوجة أبى فى البيت ، أقاسى منها أشكالا مختلفة من ألوان العذاب ، ولست — فيما أعتقد — بحاجة إلى شرح كل مافعلته بى إليك ، حتى رجع والدى سالما من سفره الميمون بعد أربعة أشهر ، فلم تطأ قدمه البيت ، حتى صبت فى أذنيه الأراجيف والأكاذيب عنى ، ثم نصحت بوجوب سفرى معه فى الرحلة القادمة .

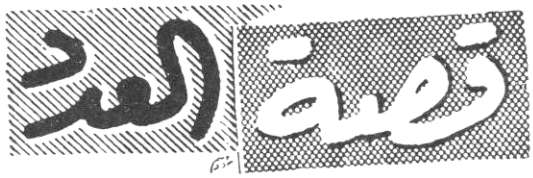

وهكذا خرجت من المدرسة ، وأنا لم أحمل من العلم آنذاك إلا القليل ، وأقصد بالعلم القراءة لبعض سور القرآن والخط فقط . .

آه .. ليتنى أتممت الدراسة ، لكنت الآن أسعد البشر .

ركبت البحر صاغراً مع والدى ، وأنا أقاسى الأهوال والعذاب ، وأخطار البحار . . كل ذلك إرضاء لزوجة أبى الكريمة . وقضيت بهذا العمل عشر سنوات ، حتى كسدت الملاحة ، وقل رزقها ، فتركت العمل مع والدى ، وصرت فى كل يوم أخرج من البيت فى الصباح الباكر ، أدور فى الشوارع علنى أجد عملا أكسب منه رزقى ، فأعود به إلى زوجة أبى القاسية ، فأرضيها به .

لكن هذا لم يكن ليرضى زوجة أبي ، بل أمرت بطردي من البيت لأني كبرت والحمد لله ! وأمسى البيت لا يتسع لي ، بل لزوجة أبي وأولادها الأربعة .

خرجت من بيت أبي حائراً أهيم في الشوارع حتى عضني الجوع ، وكدني التعب ، ولم أحصل على عمل يدر عليّ ولو ثمن الخبز اليابس لأهدئ من عصافير بطني الثائرة .

وهنا ... وهنا في هذه اللحظة فهمت معنى المدرسة والتعليم ، فسقطت على الأرض أندب حظي العاثر ، وطالعي النحس ؛ فما العمل الآن وأنا أميّ لا أحسن القراءة ولا الكتابة ؟!

وبينما أنا كذلك بهذه الهواجس ، مرت على شرذمة من الأصحاب : أصحاب السوء والشقاء ؛ فجروني معهم إلى حيث لا أدري ، بل كل ما أعلمه أن وراء هذا دراهم كثيرة ، ورزقاً وافراً . ولم أشعر إلا وأنا في بيت أحد الأغنياء مع زملائي في منتصف الليل بقصد السرقة والسطو ، ونفذت ما أمرت بعمله ، وهو الخروج ببعض الأمتعة المسروقة ، ووضعها في مكان متفق عليه . ولكن سرعان ما وقعت في يد الشرطة دون زملائي ، وألقيت في السجن أربع سنوات ، خرجت بعدها أجرجر أذيالي ناقماً على الحياة ، وعلى هذه الدنيا التي قدّر لي أن أكون عالة على أرضها ، وشراً على سكانها ، ففضلت الانعزال عن الناس ، وهجرت المدينة إلى القرى أسعى فيها . وكلما عضني الجوع بأنيابه القاسية التي لا ترحم ، طرقت أحد الأبواب لأقتات بما يجودون به علي ، علني أكفر عن ذنبي الذي جنيته على نفسي ، ولكن هذا — في الحقيقة — ما جناه علي والدي ...

وسكت صاحبي طويلا . ثم قال : أتعلم من أنا ؟ ومن هو أبي ؟ ومن هي زوجة أبي ؟ إن أبي هو الزمان ، وزوجته هي الأطماع ، وأنا البؤس والشقاء ثمرة الاثنين .

الكويت — عبد الوهاب راشد عبد الغفور

● أهدى إلينا حضرة الباحث الفاضل الأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهري كتابه الجديد «قصص عكاظ» وهو كتاب يشتمل على تحقيقات تاريخية وأدبية حول عكاظ ومكانها وتاريخ قيامها وغير ذلك ، فنشكر الباحث المفضال على هديته ، ونرجو أن يصادف ما هو أهله من الاهتمام عند جمهور القراء

النشء والرجولة

(بقية المنشور على صفحة ١٤)

وثالث الطرق الدراسة التاريخية دراسة عميقة تكشف عن محاسن الأجداد . وتضع يد الطالب على مآثر الماضي الجميل . وتكشف له عن الصراع بين الحق والباطل في مختلف الأدوار والأزمنة ، وتريه الطرق الشائكة التي ارتطم بها تاريخنا ، هي دراسة استيعاب وفهم وتبصير بالحضارة وأثر الآباء في توجيه العالم ، وقيادته قيادة عادلة ، ورعاية لطبقات الأمة ومصالحها . لا دراسة تشكيك في كل عصر ، وفي كل عمل وحضارة ونظام ، لا دراسة كشف للمساوىء وتعداد للعيوب والمثالب ، لأن في هذا الهدم وتسميم العقول ، لا البناء وتغذيتها .

ولو أن القائمين في البلاد الإسلامية على أمر التعليم وإدارته ، أخذوا النشء وتعليمه بالعناية التامة ، والتوجيه الصحيح نحو هذه الأهداف ، لخلقوا لنا رجالا يكون لهم في المستقبل دويّ تردد صداه الأزمان ، وتتجاوب به الآفاق ، وفي هذا العمل لا نقلد الغربيين ، ولا نعمل على ترسم خطاهم ، وهل ينكر أحد أنهم يحرصون على وضع أبنائهم في مدارسهم الخاصة ومناهجهم ، حفظاً لروحهم وقوميتهم ومعنوياتهم ؟ لن يقدم واحد على وضع طفلة في مدرسة جوها وعاداتها وأساتذتها لا تربطهم بهم رابطة التقاليد والقومية والعقيدة . أليس في ذلك أكبر برهان على مدى اهتمامهم بروح النشء ووطنيتهم .

لعل الأحداث التي تلوح في أجواء البلاء الإسلامية والعربية ، بشرى للادراك السديد ، والفهم السليم لحالنا ، وما يجب علينا أن نسلكه ونعجل إليه ، وخاصة في حفظ النشء وخلق الرجولة فيهم ، وجعل ثقافتهم تقوم على أساس من القوة والمنعة في الدين واللغة . ولا يصلح هذا العصر إلا بما صلح به أوله ، وهذه تذكرة علها تنفع ، وصوت عله يسمع والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

الكويت — عبد اللطيف الصالح

ما من رجل ضل وهو يسلك الطريق المستقيم

« اركنساس »